Received: 9 / 1 / 2024 Accepted: 30 / 5 / 2024 Published : 9 / 1 / 2025

الواقع واثره في بناء الشخصية في رواية قسمت

م.م. رؤى بشير جمعة أ.م.د. أحمد غالب السعدون

rawa.abd@uoa.edu.iq dr.ah1975@uoa.edu.iq

كلية المعارف الجامعة ، قسم اللغة العربية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استخلاص أهم النتائج التي تمخضت عن طبيعة العلاقة بين الشخصية والواقع الكائن، إذ أسهم هذا ألأخير في إعادة تشكيل الجانب النفسي والفكري للشخصية، بما تميز به هذا الواقع من هشاشة فكرية وايديولوجيا قمعية أدت إلى خلق شخصيات إشكالية وانهزامية, وقد وقفت الدراسة عند النصوص بالتحليل والإسهاب وإيضاح أهم الأساليب الفنية التي اتبعتها الكاتبة في كشف التابو عن مجتمع قائم على العبودية ومحو الذات؛ علمًا أن النصوص الواردة لاتنعدم من رؤية نقدية وضحت عن طريق تحليل الأنساق المضمرة, واستند البحث في تحليله للنصوص على المنهج الثقافي، لقدرته على بيان أهم الرؤى التي تتخللها النصوص، فضلًا عن ذلك يعد المنهج الثقافي أقرب المناهج للتعرف على النصوص التي تتناول التغيرات الفكرية والنفسية والثقافية داخل المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الواقع، الشخصية الروائية، الأنساق الدلالية، قسمت

The impact of reality on character building in a novel divided

Asst. Lect. Roua Bashir Juma Asst. Prof. Ahmed Ghalib Al-Saadoun (Ph.D.)

Al-Maarif University College, Department of Arabic Language

Abstract

This study aims to delineate the primary outcomes derived from the interplay between personality and the surrounding environment. The latter has played a pivotal role in influencing the psychological and cognitive dimensions of individuality, given its inherent fragility of thought and imposition of oppressive ideologies, which in turn foster the development of problematic and pessimistic personality traits. The research delved into the analysis of literary works, elucidating the key artistic techniques employed by authors in unveiling societal taboos within a context characterized by slavery and self-negation. It is noteworthy that the scrutinized texts manifest a discerning perspective, as evidenced by the exploration of implicit motifs. The study utilized the cultural perspective to examine the texts, as it has the capacity to elucidate the significant observations inherent in them. Furthermore, the cultural perspective is acknowledged as a method closely aligned with interpreting texts that explore intellectual, psychological, and cultural transformations in societies.

Keywords: reality, narrative persona, semantic patterns, divisions

المقدمة

تمثل الرواية عملًا نثريًا مهمًا، يسهم في تناول العديد من القضايا الاجتماعية، والثقافية، فضلًا عن مختلف التحولات السياسية التي تطال المجتمعات وتعمل على تغيير الوعي القائم فيها، وبالعودة إلى النص ألأدبي فهو يمثل خطاباً حكائياً – ايديولوجياً، يعمل على استثارة ذهن المتلقي. تمكن الروايات في أثناء صياغة خطابها السردي، ليس فقط في نقل البنى الثقافية لمجتمع ما، وانما في إعادة تشكيل هوية هذا المجتمع، عن طريق الصياغات ألأيديولوجية، فضلًا عما يوظفه الكاتب من تقنيات سردية، تساعد في خلق رؤى متعددة، فنرى النصوص الحجاجية التي ترفض الواقع وتحاول صياغة أخر مضاد له، كذلك نرى تلك النصوص التي تحاول تقديم رؤية استشرافية، مستقبلية عن طريق قراءة الواقع وربط الماضي بالحاضر، وقد تميزت الروايات المعاصرة بأنها روايات رمزية لا

DOI : 10.47831/mjh.v3i1.640

تتحدد وفق قراءة واحدة. ولأن الرواية تعد نصًا هجينًا يستوعب ما لا يستوعبه نصٌّ أخر فقد تميز بحمولات أيديولوجية وتأريخية وثقافية، لاستطاعت بأدواتها أن تقدم رؤية للعالم.

الجانب النظري

شكلت الشخصية بأنواعها اهتمام العديد من الدارسين والمهتمين بعناصر السرد، فمظهر الشخصية الخارجي والداخلي يسهم في فهم النص وطبيعة علاقته بالواقع الخارجي، لذا فإن صورة الشخصية داخل السرد الروائي عامة، لا ينظر إليها على أنها شكل خارجي فقط به تستكمل العملية السردية، أو لإمتاع القارئ بهيئتها الشكلية، بل إن الشخصية هي عبارة عن جانبين يعمل كل منهما مهمة إيصال المعنى للقارئ، فهي بمثابة الدليل اللغوي اللساني لقراءة العمل السردي (الحمداني، 1991، صفحة 15)، تظهر الشخصية بأقوالها وأفعالها، وسلوكها، وعلاقاتها مع باقي عناصر السرد لوحة فنية متكاملة.

وعن طريق التعدد الوظائفي للغة، ومفهوم السياق الذي بدوره يحدد مفهوم اللغة، لذلك ينظر للشخصيات عن طريق الوظائف التي تؤديها الشخصيات، فعن طريق هذه الوظائف ينشأ المعنى الكلي للنص (الحمداني، 1991، صفحة 52)،وقد حاول الكتاب تنويع شخصياتهم لتتلائم والواقع المعاش، لاسيما أننا نعيش واقعاً مأزوماً فنرى الشخصيات القوية، المتسلطة المتمثلة بالمركز، ونرى الشخصيات المهمشة الضعيفة، والكاتب بذلك يخرج عن الإطار التقليدي الذ ي اعتدنا عليه. وقد ربط رولان بارت بين الشخصية والخطاب عن طريق جعلها تتحرك وتتطور فيما بينها، وبين الشخصيات هذا هو من يخلق الحدث الرئيس في النص السردي (مرتاض، 1998، صفحة 81) ، "فبارت هنا، يساوي بين الخطاب الذي هو تركيب لغوي للنص أدبي، وبين الشخصية التي كان يعتقد فيها، وأنها في تصور الكتابات التقليد بالنقد التقليدي أنها هي كل شيء. من أجل كل ذلك كان يلتبس أمر مفهوم الشخصية على القارئ غير المحترف، على درجة أنه كان يمثلها شخصا قائمًا بذاته، وأنها نتيجة لذلك، كانت تمثل، في تصور الكتابات التقليدية، الوجه الأمين، أو الوجه الآخر على الأقل، للحياة الاجتماعية التي كانت تزعم أنها تستطيع أن تعالج قضاياها بكفاءة، وامتياز. ويظل بالزاك عبر رواياته التسعين. وعبر أكثر من ألفي شخصية، المثال الأعلى في هذا التمثل ذي النزعة الاجتماعية الضيقة لوظيفة ورسالته (مرتاض، 1998، صفحة 81_82) ،وتنقسم الشخصيات إلى:

الشخصيات المدورة

وهي الشخصيات التي تمثل كل واحدة منها، عالمًا كليًا، صعبًا، وهي الشخصيات التي تدور حولها أحداث النص، وعادة ما تكون شخصيات مكثفة دلاليًا، ولذلك يشير تودوروف إلى أن المعيار الذي عن طريقه نحكم بأن الشخصية المدورة، هي شخصية مكثفة دلاليًا. وقد تميزت الشخصيات المدورة، بأنها شخصيات تفاجئ القارئ في عملية تحريك الاحداث.

الشخصيات المسطحة

وهي الشخصيات التي لا تفاجئ القارئ بشيء في حركاتها، أو انفعالاتها، وهي مرادفة للشخصيات المسطحة، ويطلق عليها أحيانًا بالشخصيات الثابتة التي لا تؤدي شيئًا في عملية تطوير الأحداث، ويقال بأن الشخصيات المسطحة هي تلك الشخصيات البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها أمام الأحداث (مرتاض، 1998، صفحة 89).

وسواء كانت الشخصيات مدورة أو مسطحة فهي تؤدي دورًا بارزًا في تشكيل النص، بل إن البعض يضعها بأهمية اللغة بحد ذاتها "إن الشخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث إنها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة، وهي التي تصف معظم المناظر، وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها، وهي التي تقع عليها المصائب، أو تشتار النتائج، وهي التي تتحمل كل العقد والشرور (مرتاض، 1998، صفحة 91) ، وعلى وفق هذا يظهر دور الشخصية بأنها ليست المحرك والمساهم في العملية، بل هي أساس العمل الإبداعي ككل.

الجانب التطبيقي

تنطلق رواية قسمت من داخل الدهاليز المظلمة للواقع العراقي في حقبة خمسينيات القرن الماضي، تحديدًا في بغداد وعند فئة الاكراد الفيليين، فمن هناك انطلقت الشرارة الأولى لتظهر الواقع القائم وفق سياسة المركز وتهميش الآخر، إذ سلطت الرواية الضوء

DOI : 10.47831/mjh.v3i1.640

على ما تعانيه الأقليات من الإقصاء والتهميش، علمًا أن تلك الأحداث كانت عاملًا بارزًا في تشكيل الذات. وبالحديث عن ذلك استحوذت الشخصية في رواية قسمت على دور مهم، فكانت الحلقة التي تدور حولها الأحداث الزمنية والمكانية.

لذا حظيت دراسة الشخصية وبيان ملامحها السيكولوجية عتى اهتمام العديد من الكتاب والمؤلفين؛ ويعود ذلك لقدرة الشخصية لكشف الواقع أمام القارئ، فضلًا عن ذلك فإن الأحداث لا تجري إلا في نطاق الشخصية ؛لذا قيل "من المستحيل الحديث عن الرواية في أي عصر من العصور، دون ذكر الشخصيات، فهي تمثل نقطة إرتكاز أساسية بالنسبة الى القارئ ومكان توظيف انفعالي وايديولوجي أساسي لأن الحبكة نفسها لا توجد الا عبر الشخصية ومن أجلها، وهي محرك العمل والضامنة لتماسكه" (هيلم، 2020) ، أي أن الشخصية تعد العمود الفقري في النص السردي، والشخصية بذلك تظهر بأنها خطاب أيديولوجي، ثقافي، تصور الواقع وتنقل أبعاده الاجتماعية والسياسية، لذا فهي تؤدي دوراً كبيراً في تشكيل لوحة متكاملة عن الواقع الكائن، أي أنه من المستحيل تواجد نص سردي من دون شخصية. فالصراعات داخل النص لاتتواجد من دونها؛ لذلك نرى العديد من الكتاب يسلطون كل عبقريتهم نحو رسم الشخصية (مرتاض، 1998، صفحة 76).

وقد أظهرت الكاتبة قوة تمعنها في الواقع عن طريق الوصف الدلالي للأحداث، وعمل هذه الأخيرة في إعادة هيكلة الذات. وتعدد الشخصيات داخل الرواية ما بين شخصية انهزامية ترفض المواجهة، وشخصية عاجزة عن تغيير الواقع الا أنها تحمل رؤية نقدية لذلك الواقع، علمًا ان هذه الرؤية لا تخرج عن ايديولوجية الكاتب. فتأسس الكاتبة نصها وفق بنية ثقافية واجتماعية وسياسية، تعكس تشظي الذات وانشطارها، لذا فإن هيئة الشخصية وأهميتها تحدد من نجاعة النص السردي، سواء كانت الشخصيات رئيسية أم ثانوية.

وعند الحديث عن الشخصية الانهزامية لا يكتمل الا في ربطه بالمؤثرات الخارجية، فهي السبب الاول في ذلك، وتظهر أغلب الشخصيات في الرواية بطابعها الإيديولوجي منهزمة أمام أحداث واقعها، فتأتي غير مبالية بما يحدث، أو ربما عاجزة أمام القوة التي تقف أمامها، فعادة ما يهيمن المركز على مقاليد الأمور من دون ان يضع للآخر دورًا ما. وماذا سيفرق معي لو عشت هنا أو هناك، لو كنت بأوراق ثبوتية أو من دونها، ومن حسن الحظ أنني بلا ولد أو تلد لكي يرث كل هذه الخيباتً **(النداوي، 2022، صفحة165)** تتضح معالم الشخصية إلا انهزامية عن طريق الدلالة النصية، فموقف الشخصية غير مبال لما يحدث حولها، لا سيما وأنها تتعرض للتهميش والاغتراب الذاتي وضياع الهوية، كذلك فان النص يطرح النظرة السوداوية للمستقبل، فمن المعروف أّن الشخصية الانهزامية تمتلك رؤية سوداوية. وهذا الأمر لا يخرج عن الواقع القائم "فالأحداث تسهم في تشكيل الجانب النفسي والفكري للشخصية" (ساجد، 2003، صفحة 27).

وتظهر صورة الشخصية الانهزامية في النص عن طريق الشخصية ذاتها، فيؤدي الجانب السيكولوجي دورًا مهمًا في ذلك، فالنص الآتي يظهر شخصية ضعيفة تختار أسوء الطرق في مواجهة أحداثها، وربما يعود ذلك الى المستوى الثقافي المتدني الذي تمتلكه الذات. "وقد حدث يومها أن خرج رضا من غرفتهما في محاولة للفرار بنفسه منها فلا حقته الى الحوش ملحة فما كان منه الا أن ألقى بنفسه على نقطة الكهرباء وكسرها بلكمة واحدة في محاولة يائسة لكي يصعق فيستريح من عذابها" (النداوي، 2022، صفحة 100) فلغة الخطاب هنا جاءت مباشرة لتدلي بشخصية ضعيفة لا تقوى على مواجهة الواقع الا بأسلوب الانتحار، وهو ما يعني أن الشخصية تعاني من الضعف الإنساني "فالتفكير الانهزامي افتراض الشخص باستحالة تغيير الموقف، علمًا بأن هذا افتراض وليس واقعًا حتميًا، ومع ذلك ينطلق المهزوم نفسيًا في رؤيته وتفسيره للأحداث والوقائع منه" (الجواد، 2012، صفحة 211)،أي ان الشخصية الانهزامية تقرر مصيرها وفق أبعاد ايديولوجية ضيقة تعتقد أن الامر لا يخرج الا نحو ذلك. ويتطور الأمر مع شخصية (رضا) فتحاول مرة أخرى لتجربة الانتحار التي ترى فيها شجاعة لا يستطيع احد فعلها. "لم تكن الرغبة في الموت بل عدم الرغبة في الحياة ما كان يدعوه للتفكير بإيقاف حياته بنفسه، اذ لم يفتأ رضا يفكر في الموت بعد الحادثة التي حاول فيها صعق نفسه، فجرأته في ذلك اليوم على مقاربته بهذا الشكل المباغت محفزٌ قويٌ له على عدم الاكتراث به، فبين ثانية وأخرى كان سيغيب عن هذا العالم وربما كانت ستنتهي آلامه التي صارت تشتبك في صدره كما ان احباطاته لابد وأنها كانت ستتلاشى ما ان يلج عالمًا مختلفًا" (النداوي، 2022، صفحة 110) فالشخصية تعاني من الموت السيكولوجي قبل ان تلجأ للموت الجسدي، فالنص يعول على ما تعانيه الشخصية من انهيار نفسيً وفق ما تتحاشاه من مواجهة واصطدام مع ألأخر، على أن الإضمارات النصية تعلي دلالة الموت المعنوي الذي يسيطر على الشخصية، ويعود هذا لضعف الذات وللإخفاقات والمؤثرات التي تعرضت لها، ولعل لجوء الشخصية لمثل هذا الفعل يظهر هشاشة الشخصية، فقهر الذات أهم ما تعانيه الذات، لذلك "فالخيار ألأسهل الذي يلجأ اليه الانسان في حالة الهزيمة

DOI : 10.47831/mjh.v3i1.640

النفسية.فجلد الذات حل سهل لأنه لا يقتفي أثر أسباب الهزيمة ولا يعمل على التنقيب عن العوامل التي أدت اليها" (الجواد، 2012، صفحة 92).

وبسبب التهميش الذي تعرضت له فئة الاكراد الفيليين، فإن شخصية لؤي تنحدر لفئة الشخصيات الانهزامية، بيد أن الأمر هنا حدث بسبب الإشكالية التي وقعت للشخصية بين ما تطمح له وبين ما يفرضه الواقع مما أدى الى أن تعيش حالة من الاغتراب الذاتي، لذا قيل إن "الاغتراب الذاتي هو ضياع الفرد وشعوره بالانفصال عما يرغب في اتن يكون عليه، حيث تسير حياته بلا هدف وتصبح بلا معنى" (خروف، 2020، صفحة 70)، وهذا تحديدًا ما حصل مع شخصية (لؤي) اذ أدى عدم التوازن ألأيديولوجي بين الشخصية والواقع الى خلق ذات عاجزة وضعيفة أمام أحداث واقعها، علمًا أن الطريق الذي اختارته وهو الهرب والفرار يعد أكبر دليل على انهزامية الشخصية وضعفها "كنت فاراً من أبي وظلمه ومن كنيتي وأسمي الجديدين وما فرضاه علي من مصير، مؤملًا نفسي بفرصة عمل في العاصمة الكبيرة لأعود بعدها بشهرين فقط، بعد ان لبثت لأيام متسكعًا في أزقة طهران دون أن أوفق لإيجاد عمل وقد قرصني الجوع غير مرة فحاولت المكابرة غير مرة الا انني عدت في النهاية محملا بفشل ثقيل وجيبين فارغين وصدر تخفف من أحلامه جميعها ليحل محلها ظلام أسود لا يعينني على تلمس المشاعر التي تعتمل فيه فصرت بالكاد أعرف ماهيتها على قلتها" (النداوي، 2022، صفحة 179) فالدلالات النصية تشكل علامة فارقة للقارئ لتظهر ذاتًا مسلوبة الارادة من لدن الأب المتسلط وسياسة المركز المهمشة للأخر، فشخصية لؤي الضعيفة لم تأت من فراغ، وإنما كان لمعطيات الواقع دور كبيرٌ في ذلك، علمًا ان لهذا الامر أهمية في كشف الواقع المضطرب. لذلك فأن "الجسم الاجتماعي لا ينظر الى الأفراد الا عن طريق الوظيفة، ومن خلال البرامج التي يسطرونها ومن خلال أدوارهم المهنية" (هامون، 2018، صفحة 56) وقد اسهمت اللغة في بيان انهزامية الشخصية فالدلالات (فشل، ظلام، اسود، التخلي عن الأحلام) كل ذلك يضعنا أمام شخصية سلبية، سوداوية، لا تمتلك القدرة على المواجهة.

وفي نص أخر نرى الشخصية تعول على انهزاميتها عن طريق وصفها للواقع الثقافي المزري الذي تعيشه، فالتهميش الثقافي فضلًا عن ما تفرضه بعض السياسات والأنظمة من إدارة تقلص حجم الحرية في المجتمع، وتخضعها لمفاهيم خاصة تؤدي بذلك الى تضيق الافق الثقافي. "كنا نلتحق رغمًا عنا بأمة تجبر على العيش عجوزة على الرغم من شبابها، أمة متخمة بشعارات الحرب تصطبغ بكل ما هو قاتم وكئيب، وشيئًا فشيئا كانت تمتص منها الحياة كي تترك جافة وهامدة ومن دون روح" (النداوي، 2022، صفحة117) والنص لا يظهر ذاتًا مأرومة وحسب وإنما يعول على قضية ما تسببه الحروب والصراعات العبثية من تراجع ايديولوجي وثقافي واقتصادي، لذلك الشخصية هنا تقدم خطابًا حجاجيًا عن صورة الحرب.

ولأن الحرب الباعث الأبرز في خلق الشخصية الانهزامية، فقد استحوذت على فكر الشخصيات، فالنص الاتي يظهر شخصية ضعيفة أسهمت الاضطرابات السياسية في أن تكون حبيسة الماضي، ولعل صورة البقاء في الماضي من ابرز صور الشخصيات الانهزامية "لكن قلب ما يزال ذلك الفتى ذي الثلاثة عشر ربيعًا الذي أجبر قسرًا على حياة أخرى غير حياته. ما زلت الطالب في المتوسط في شارع فلسطين" (النداوي، 2022، صفحة 179). ولأن "الرواية تمتلئ بأشخاص أماكن تبدو واقعية حتى لو كانت متخيلة" (محسن، 2012، صفحة15)؛ فان أغلب الشخصيات بما تمتلكه من أبعاد فكرية ونفسية قريبة جدًا للمتلقي، وهذا ما أكدته نصوص الرواية التي جنحت لكشف أبعاد الواقع السلبي بكل زواياه المهمشة، فشخصية لؤي تطلعنا على واقع التهميش الذي تعانيه الأقليات وسط دوامة الصراعات الاجتماعية والسياسية لذلك يقول "_لفي خسر. انه أنا ذلك النصف الخاسر، النصف المنبوذ. نصف حلم ونصف حقيقة، نصف رجل لم يلج سنوات الرجولة بعد، نصف عراقي لن يعول على عراقيته أحد، نصف انسان وما تبقى منه لفي خسر، أنا أية خطت على قبر منسّي وقديم عند جرف جبل يطل على واد سحيق"(النداوي، 2022، صفحة182) فالنص يظهر ثيمة أساسية، وهي محور الشخصية الانهزمية، فالدلالات النصية التي ذكرت جميعها تعول على جانب العجز والضعف الذي يتملك الشخصية ويسيطر عليها، وقد أدى الاستخدام اللغوي الى تقوية المعنى النصي فالألفاظ، (خاسر، منبوذ، نصف حقيقي، نصف عراقي، قبر منسي، قديم) كلها تعزز فكرة الشخصية الانهزامية، بيد أن النص لا يعول فقط على صورة الشخصية الانهزامية، بل يجنح الى بيان حقيقة ما يؤديه الاغتراب في تشكيل الشخصية. لذلك قيل "إن طبيعة الإنسان في مراحله الاولى، طبيعة مستقبلة أكثر من كونها مانحة، فانه يكون متأثرًا أكثر من كونه مؤثرًا" (ساجد، 2003، صفحة 64)، وقد أدى التناص الدلالي للأية دورًا في تقريب الصورة الذهنية للمتلقي.

DOI : 10.47831/mjh.v3i1.640

ولأن "المكان معادل نفسي للشخصيات، فيكشف عما في داخلها من صفات، فالخلفية الوصفية تصبح والحالة هذه صدى لما يعتمل في النفس من مشاعر وأحاسيس" (ساجد، 2003، صفحة 84)، فالنص الآتي يظهر ايديولوجية الاغتراب المكاني من خلق شخصية هشة، عاجزة، غير مبالية. "_بس شنسوي هذا مصيرنا وهاي قسمتنا. اذا بقينا أو طلعنا ترى نفس المصير. الحرب ممكن تأخذنا كلنا. على الأقل هنا بس أمي أخوية أنطوك عمرهم"(النداوي، 2022، صفحة 73) يظهر النص واقع الشخصية المتأرجح بين ثنائية الموت والحياة، علمًا ان قول الشخصية (هذا مصيرنا وهاي قسمتنا) يؤكد حقيقة ما يصقله الواقع في فكر الشخصية من سوداوية وتفشي لغة الموت كظاهرة لازمة في المجتمعات النائية.

وفي نص أخر تظهر بواعث الشخصية الانهزامية عن طريق رفضها لأي تغير يطرح عليها. "– بس تعال شوف الدنيا هنا عدل! واذا ما عجبك أرجع. حتحس بروحك أدمي لأول مرة بحياتك. حتحس روحك محترم وكل قطرة دم بجسمك معصومة. محد راح يسألك هنا شنو دينك لو مذهبك لو عرقك. محد اله علاقة بيك شتريد تسوي لو شتريد تكون.

كيف أخبره مثلُ انني لم أصنع لنفسي ولو جزءًا من تأريخ لأعانده أملاً في صياغة مستقبل أفضل، وأنني خاوي، داخلي فارغ لا تتجمع فيه سوى كتل من العقد والآلام النفسية التي تعلمت جيدًا كيف أستخلص منها المشاعر القاسية والسلبية وغير المبالية وتناسيت بفضلها كيف أرسم بسمة او افتعل فرحة. لا مكان في السويد لمن يمتلك ما في دواخلي فتلك البلاد الجميلة والمدن الهانئة لا تناسب طبيعتي لأنني مخلوق لهذا الوطن الأعور"(النداوي، 2022، صفحة 235) أيكشف النص عن ضعف الشخصية لإنهزاميتها أمام واقعها، بيد ان ضعف الشخصية واستسلامها، فضلًا عن رفضها لأي تغيير أدى لأن تكون ذاتًا منغلقة على نفسها لا تستطيع المواجهة، خاضعة لأحداث مجتمعها، علمًا ان النص يعول وبشكل صريح على البنية التكوينية التي أدت دورًا في ذلك، فدلالة (الوطن ألأعور) دلالة نقدية لما تسببه المجتمعات الهشة في خلق شخصيا ت عاجزة.

ولا تخلوا الشخصية الانهزامية من نظرة سلبية للواقع: لذلك نرى شخصية (سالار) تنبثق من رؤية ترى في وجود المستوى الثقافي وعدمه تحت خط واحد لاسيما الجانب التعليمي. "تعجب لؤي من البساطة التي حرمت فيها الفتاة من انهاء تعليمها على الرغم من انها قد نشأت في أسرة أغلبها من الجامعيين، وأعرب عن دهشته تلك دون أن يحاول اخفاءها، فرفع اليه سالار رأسه وقد بانت على صفحة وجهه سحابة ضيق:

يعني هم أللي تعلموا شنو استفادوا؟ كل جيل واله لعنة لازم يتحملها وهاي الفوضى الدا تشوفها هي لعنة جيلها. باجر عقبة تتزوج وهي والمتعلمة يصيرون سوا"(النداوي، 2022، صفحة 276) فالإضمارات النصية تعلي من دلالة الموت المعنوي الذي تعول عليه الرواية اذ تعول النصوص على صورة الواقع المضمر، بذلك يكون للتداعيات الخارجية ومن ثم الداخلية الدور البارز في خلق شخصيات انهزامية، خاضعة لمعطيات واقعها، مستسلمة له.

يظهر من ذلك ان الشخصية الانهزامية هي نتاج الواقع الكائن، فهذا الأخير هو من يحدد الجانب السيكولوجي للذات، لذلك يشار الى ان العمل الادبي ناتج عن تفاعل وعلاقة وتأثير بيت الشخصية؟ أثير بيت الشخصية والحدث.

وتسعى النصوص الروائية لأن تكون أداة فاعلة في كشف الواقع، عن طريق الدلالات الأيديولوجية ورؤى نقدية مضمرة تحيل الى دلالات رمزية، لأن النص هو دائمًا يحمل رؤية للعالم، فان الأمر لا يختلف مع الشخصية؛ لذلك لا يمكن القول ان عناصر السرد مكتملة من دون تقديم الأحداث عن طريق رؤية الشخصية.؛ لذلك فالمحور ألأخر الذي انطلقت منه الرواية هو الرؤية النقدية للواقع. وتؤدي هذه الشخصيات دورًا بارزًا في الأدلاء بالآراء الناقدة للواقع، اذ أنها تدين أفعاله وسياسته عن طريق خطاباتها الايديولوجية، علمًا أن هذا ألأمر لا يخر ج عن رؤية المؤلف، فالتبئير ألأيديولوجي للمؤلف يكون حاضرًا سواء كان معلناً عن ذلك أم لا. "ان العمل ألأدبي قطعة من كيان المؤلف، هذه حقيقة لا يمكن تجاوزها او أنكارها. اما ما يقال عن غياب المؤلف عن النص في العمل الروائي خاصة – فان هذا الغياب أوجدته الشخصيات الروائية" ويدل هذا على قوة أدراك الواقع لدى الكاتب، لاسيما وان النصوص جاءت على لسان الشخصيات لتمويه القارئ واستمالته."لم أكن لأعلم بأنني سأعيش عمري كله على هيئة علامة استفهام كبيرة متسائلًا: لماذا يوجد من يقرر لي شكل وروح وطني؟ وكيف تأتي له السلطة التي تخوله لتجريدي منه لأن جدًا لي لا أعرفه – حدث أن سقط رأسه سهوًا في موقع جغرافي بعيد؟ حين رسموا الحدود واقتطعوا البلاد وقرروا اسم المواطن الجديدة، حين قرروا أي جزء محدد من التأريخ سيعظم ويتبع، الآخر منه يؤرخ للبلد. حين بلوروا المشاعر المثيرة للفخر وقولبوا أشكال الانتماء لم يحدث أن سألوني، ولو فعلوا بالذات حين اقتطعت من جذري ورميت على قارعة غربة هائلة مجردًا من هويتي وعمري، لكنت كفرت بكل تأريخهم، حدودهم، فخرهم

DOI : 10.47831/mjh.v3i1.640

وانتماءاتهم الهشة فهؤلاء الجبابرة القساة أهملوا تمامًا حقيقة أنني أنا الوطن بذاته ماشيًا على قدمين تحملان عود مراهق نحيل في الثالثة عشرة اسمه لؤي حسين الصائغ" (ساجد، 2003، صفحة 60)، ان تعدد القضايا التي تناولتها الشخصية داخل النص تجعل المتلقي يدخل الى جوف الواقع، الامر الذي يجعل من النص خزانة فكرية، فالنص يعالج عدة قضايا اجتماعية وسياسية وثقافية، تدين سياسة المركز في تهميشه وأقصاءه للأخر وفق أساليب براغماتية، فضياع الهوية التي تعد العلامة التعريفية للذات ومن ثم الاغتراب، كل ذلك جعل من الشخصية تحمل رؤية تستنكر تقسيم المجمعات وفق الدين والعرق، وهو ما يعود بأثر سلبي على العامل النفسي للذات، فقضية الاغتراب وتقسيم البلاد الى عدة تقسيمات والغلبة للقوة، لذلك نرى النص يجنح في قسم أخر الى خطاب إشهاري لتعلن الشخصية رفضها لكل استراتيجيات تهميش الآخر وسلبه، وقد تميزت لغة النص بالشعرية وهذا يساعد في استمالة المتلقي، فضلًا عن ذلك يميز النص الروائي عن النص التاريخي.

وفي نص أخر تظهر الشخصية حقيقة الأوطان في أنها لا تكمن في الأوراق وإنما في الذكرى الذي يمتلكها. "ولعل الذكريات هي وحدها القادرة على خلق الأوطان فينا فمتى ما صنعت ربطتنا بالمكان حتى ذلك الذي نجبر عليه ونظن انه لن يخلف سوى ذكريات تالفة غير صالحة للاستعمال"(النداوي، 2022، صفحة 152-153) فدلالة النص تقدم رؤية نقدية لما يستشف به الواقع من أزمات ولدت مجتمعاً متأزماً في عاداته وسياساته.

وفي نص أخر تعول الشخصية على ما تبلوره الحرب وما تبثه من تداعيات سلبية "كان عادل دائم الحديث عن الحرب رغم أن ذلك لم يكن يليق بشبابه قليل الخبرة بالحياة، الا انه آثر التمعن بتفاصيل الموت وسياسات المعارك اللعينة وما تخلفه من جثث متفحمة وأحلام وحيوات تتلاشى كلها وتذوب مع الريح المسمومة للحرب (النداوي، 2022، صفحة180)".

"أمشي بين جموع الناس في صباح بغدادي ندي يصيبني بانتعاش نادر على غير عادة هذه المدينة المختنقة بغبار المعارك منتهية الصلاحية"(النداوي، 2022، صفحة 213) النص ينبثق من دلالة رمزية نقدية عما تؤديه الحرب من انهيار البنى التحتية للبلدان، فضلًا عن تهافت الجانب الاجتماعي والثقافي. لذلك نرى الشخصية تعول على واقع ما قبل وبعد الحرب، والنص فيه عمق دلالي يجنح الى تقديم رؤية متكاملة للقارئ. "كان الحصار قد عودنا على أكل كل ما تجود به الطبيعة ولا سيما الحيوانات التي صرنا نأكل أمعائها وفضلاتها التي لم تكن تعنينا كشعب مترف في أزمنة الخير القديمة"(النداوي، 2022، صفحة237) ينبثق النص من رؤية نقدية تدين واقع الصراع والحرب، الذي يؤدي دورًا بارًا في تغير سيكولوجية المجتمع، وقد أدى الوصف دورًا في تعميق الدلالة النصية. فأن "صورة الشخصية ذات مرجعية انسانية ووظيفية جمالية، وأسلوبية، لا تشكل الا في سياقها النصي والذهني، واطارها الخارجي، وعبر الطاقة اللغوية المكثفة، والطاقة البلاغية المشخصة بالمشابهة تارة والمجاورة تارة أخرى، ولكن في سياقها الكلي لا الجزئي، وفي أبعادها الرمزية والتأويلية لا في تمظهراتها الخارجية أو السطحية فحسب"(النداوي، 2022، صفحة237).

وفي نص أخر تؤدي الدلالات الايديولوجية دوًرا في كشف رؤية تستنكر الواقع المهمش، وفق سياسة الظلم والاستعباد. "ماذا يعني الوطن الذي لا يقدم حرية وكرامة داخل كوب قهوة مصنوع من الكارتون سرعان ما سينتهي ليرمى في أقرب مزبلة؟ ماذا تعني العنصرية المصنوعة من فلين هش! تلك التي تثير الاشمئزاز ولعله سيضطر للرد عليها بفظاظة، حين يحدث أن يتلقاها من سويدي عجوز أزعجته الملامح المختلفة للقادمين الجدد والذي رغم تأففه الواضح لن يجرؤ بأية حال على سرقة حياته منه كما فعل معه ابن بلده" (محسن، 2012، صفحة 63). فالشخصية في النص تقدم رؤية شمولية، لما هو كائن داخل الواقع من تقسمات عنصرية وتحولات جذرية أصابت المجتمع تحت سلطة قابعة للأخر، ولا ينفك النص من تقديم رؤيته النقدي وعن طريق الوصف، الذي أدى دورًا بارزًا في تقريب الصورة للمتلقي، وقد أسهم الاستفهام الانكاري في عرض صوت الشخصية الذي يعرب عن أدانة السياسة القائمة وفق العبودية والعنصرية. بذلك تقدم الشخصية رؤية شمولية عن ما يسيطر على الواقع بخطاب إشهاري (النداوي، 2022، 281)..علمًا ان هذا "ليس الشيء الثانوي الذي الخطاب جاء بأسلوب سردي متمثل بطبيعة الواقع القائم وتمثيلاته الأيديولوجية لكن بطريقة تبعد النص عن السرد العلمي. لذلك يعد السرد البناء الذاتي للشخصية الروائية فكما يصفه مانفرد أنه ليس واقعا خارجا عنه، بل تمثلات سردية، تتحول فيها الدلالة الواقعية إلى شكل سردي،يختلف عن الواقع الحقيقي (يوسف، 2017، الصفحات 9-10).

وقد تفردت الرواية بسردها وقائع تأريخية ولكن بصورة مقننه وهذا ما نجده عن طريق الاستدلالات النصية التي ذكرت، علمًا انها تنوعت عن الطريق القفز الزمني الذي عمدت إليه الكاتبة. لذلك قيل أن "التأريخ الواقعي حاضر في النص، لكنه حاضر بصورة مقنعة، ومهمة الناقد هي نزع القناع عن وجهه، بل يمكن القول حاضر في النص في صورة غياب مزدوج. إنه لا يتخذ النص الواقعي

DOI : 10.47831/mjh.v3i1.640

هدفًا له. بل بعض المعاني التي يحيا بها الواقع نفسه –المعاني التي هي نفسها نتاج لإلغاء جزئي. إذن، ضمن النص نفسه". (ايجيلتون، 2005، صفحة 103)، نستطيع القول أن هذا الامر يندرج تحت ما يطق على التكنيك الفني الذي يكشف عن قدرة المبدع في توظيف أفكاره ولغته في قالب فني يسمح للقارئ التمييز بين كاتب وآخر. فتأتي أهمية التكنيك من أنه شيئا أساسيا في العملية السردية فهو لا يحتوي فقط على المدلولات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية، بل يسهم في الكشف عنها (اوكونور، 1980، صفحة 24) فمهمة العمل الادبي لا تكمن في تقديم الوعظ والإرشاد، بل هو كيفية صياغة فكرة وفق وجهة نظر الكاتب ضمن الأطر الثقافية والاجتماعية (نوار، 2014، صفحة 209).

الخاتمة

في نهاية الدراسة وبعد دراسة النصوص واستخلاص أهم البنى الدلالية، توصلت الدراسة الى أهم النتائج منها:

1- استطاعت الرواية بيان ما تؤديه المؤثرات الخارجية في تشكيل الذات، وصقلها وفق الايديولوجيا القائمة.

2- برهنت النصوص على ان الشخصية الانهزامية ناتجة تبعًا للعوامل الذاتية، فضلًا عن المؤثرات الخارجية.

3- أدت الخطابات النصية التي ألقتها الشخصيات في كشف الواقع وفضح التابو عن طريق الدلالات النصية التي جاءت بها اللغة، فضلًا عن ذلك الاختلافات الثقافية ما بين الشخصيات إذ أسهمت قي رصد الخفايا المظلمة للواقع القائم.

4- استدرجت النصوص القارئ عند نقاط مهمة، استطاعت بها اظهار أهمية توظيف الأساليب البلاغية في التعبير عن مقصديه الكاتب.

5- تنوعت الخطابات النصية ما بين رمزية، ايديولوجية، اشهارية. حجاجيه.

6- أسهم الأسلوب الذ ي أتبعته الكاتبة في أن تكون عناصر السرد حلقة متكاملة مع الفكرة الرئيسية.

عينة الدراسة

حوراء النداووي، رواية قسمت، دار الرافدين، العراق، ط2، 2020.

المصادر

بن نوار، بهاء. (2014). *الواقع والممكن دراسة عن العجائبية في الرواية العربية المعاصرة* (المجلد 1). عمان: دار قضاءات للنشر والتوزيع.

ايجيلتون ،تيري. (2005). *النقد والأيديولوجية* (المجلد 1). (فخري صالح، المحرر) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

الحمداني ،حميد. (1991). *بنية النص السردي*. بيروت_لبنان: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

لحمداني ،حميد. (1991). *بنية النص السردي*. بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

بن خروف ،سماح. (2020). *تجليات الاغتراب* (المجلد 2). العراق: دار تيسور للطباعة والنشر والتوزيع.

مرتاض ،عبدالملك. (1998). *في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)*. الكويت: علم المعرفة.

يوسف ،عقيل. (2017). *شخصية المثقف في الرواية العراقية الجديدة* (المجلد 1). بغداد: دار الدكتور للعلوم الإدارية والاقتصادية.

هامون ،فيليب. (2018). *سيميولوجية الشخصيات الروائية*. (سعيد بنكراد، المحرر) سوريا_اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

هيلم ،لور. (2020). *الشخصية في الرواية*. (د.غسان بديع السيد، المحرر) سوريا: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

عبد الجواد ،محمد السعيد. (العدد 3 المجلد الرابع, 2012). الهزيمة النفسية:ماهيتها، مؤشراتها، محدداتها، تداعيتها:والوقاية منها"دراسة في بناء المفهوم". *مجلة التربية*.

ساجد ،مصطفى. (2003). *بناء الشخصية في الرواية، الرواية العراقية أنموذجاً*. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر.

اوكونور، وليام فان. (1980). *اشكال الرواية الحديثة(مجموعة مقالات)*. بغداد: دار ارشيد للنشر.

DOI : 10.47831/mjh.v3i1.640

References

Abdul Jawad, Mohamed Al-Saeed. (2012). *Psychological Defeat: Its Nature, Indicators, Determinants, Ramifications, and Prevention: A Study in Conceptual Construction*. Education Journal, 4(3).

Al-Hamdani, Hameed. (1991). *The Structure of the Narrative Text*. Beirut, Lebanon: Arab Cultural Center for Printing, Publishing, and Distribution.

Al-Hamdani, Hameed. (1991). *The Structure of the Narrative Text*. Beirut: Arab Cultural Center for Printing, Publishing, and Distribution.

Ben Khrof, Samah. (2020). *Manifestations of Estrangement (Volume 2)*. Iraq: Dar Taysir for Printing, Publishing, and Distribution.

Ben Nawar, Bahaa. (2014). *Reality and Possibility: A Study of the Fantastic in Contemporary Arabic Fiction (Volume 1)*. Amman: Dar Qada'at for Publishing and Distribution.

Egilsson, Terry. (2005). *Criticism and Ideology (Volume 1)*. (Fakhri Saleh, Ed.). Cairo: Supreme Council of Culture.

Hamoun, Philip. (2018). *Semiotics of Fictional Characters*. (Sa'eed Benkrad, Ed.). Syria, Latakia: Dar Al-Hawar for Publishing and Distribution.

Helm, Lour. (2020). *Character in the Novel*. (Dr. Ghassan Badi' Al-Sayyid, Ed.). Syria: Publications of the Syrian General Authority for Books.

Mortada, Abdulmalik. (1998). *In the Theory of the Novel (A Study in Narrative Techniques)*. Kuwait: Knowledge Science.

O'Connor, William Van. (1980). *Forms of the Modern Novel (Collection of Articles)*. Baghdad: Dar Arshid for Publishing.

Sajid, Mustafa. (2003). *Character Building in the Novel: The Iraqi Novel as a Model*. Sana'a: Abadi Center for Studies and Publishing.

Yousef, Aqeel. (2017). *The Intellectual Character in New Iraqi Fiction (Volume 1)*. Baghdad: Dar Al-Doktor for Administrative and Economic Sciences.

DOI : 10.47831/mjh.v3i1.640